بسم الله الرحمن الرحيم

1- كتاب بدء الوحي

1- باب: كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ وقول الله جل ذكره: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ} [النساء: 16]

1- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه**» [أطرافه فى: 54، 2529، 3898، 5070، 6689، 6953].

قوله: بسم الله الرحمن الرحيم ، كيف بدء الوحى: صدر الكتاب ترجمة بدء الوحى وبالحديث الدال على مقصوده على أن العمل دائر مع النية فكأنه يقول قصدت جمع وحى السنة المتلقى عن خير البرية على وجه سيظهر حسن عملى فيه من قصدى وإنما لكل امرئ ما نوى فاكتفى بالتلويح عن التصريح وقد سلك هذه الطريقة فى معظم تراجم الكتاب. **قوله: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ}** قيل: قدم ذكر نوح فيها لأنه أول نبى أرسل، أو أول نبى عوقب قومه، فلا يرد كون آدم أو الأنبياء مطلقا.

فائدة: مناسبة الآية للترجمة واضح من جهة أن صفى الوحى إلى نبينا ﷺ توافق الوحى إلى من تقدمه من النبيين، ومن جهة أن أول أحوال النبيين فى الوحى بالرؤية، كما رواه أبو نعيم فى "الدلائل" بإسناد حسن عن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود قال: إن أول ما يؤتى به الأنبياء فى المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحى بعد فى اليقظة. **قوله: الأعمال بالنيات**: أى كل عمل بنية ومحل النية القلب والنية تتنوع كما تتنوع الأعمال، قال النووى: النية هى القصد وهى عزيمة القلب، والنية ركن وخالف البعض، والمعنى لا عمل إلا بالنية وليس المراد نفى العمل لأنه يوجد بغير نية، بل المراد نفى الصحة والكمال. **قوله: وإنما لكل امرئ ما** قال: أفادت اشتراط تعيين المنوى كمن عليه صلاة فاتته لا يكفيه أن ينوى الفائتة فقط حتى يعينها ظهرا أو عصرا. **قوله: فمن كانت هجرته إلى دنيا**: الهجرة هى الترك، والهجرة إلى شىء الانتقال إليه عن غيره، وشرعا: ترك ما نهى الله عنه - والدنيا جاءت من الدنو أى القرب. وقيل لدنوها إلى الزوال، ولأنها سبقت الأخرى. **قوله: يصيبها**: أى يحصلها. **قوله: أو امرأة**: فيها تخصيص بعد العام، ليفيد الاهتمام، والاهتمام لأن الافتتان بها أشد. **قوله: فهجرته إلى ما هاجر إليه**: يشعر بالذم أى بذم من فعل ذلك، ولم تكن هجرته خالصة لله، ولكن من طلب الهجرة إلى الله وضم إليها المرأة فإنه يثاب على قصد الهجرة، ولكن أقل من ثواب من أخلص لله وحده.

2- باب: صور الوحى (لمج)

2- عن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام ﷺ سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله ﷺ : «**أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول**» قالت عائشة رضى الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا. [أطرافه فى: 3215].

قولــه: كيف يأتيك الوحى: أى ما صفة الوحى، وكيفية ظهوره. **قولــه: أحيانا**: أى أوقاتا، أى بعض المرات، ومن صوره يأتيه فى صورة رجل كما تمثل لـه فى صورة "دحية" وصورة أعرابى كما فى حديث جبريل، وأحيانا فى هيئة دوى النحل، والنفث فى الروع، والإلهام، والرؤية الصالحة، والتكليم ليلة الإسراء والمعراج، وظهوره بصورته الحقيقية لـه ستمائة جناح وقد سد الأفق عند الغار، والغالب صور الوحى الصلصلة وكما يلقى الرجل على الرجل أهـ. **قولــه: صلصلة الجرس**: هو وقوع الحديد بعضه فيحدث صوت. **قولــه: وهو أشــد علــى**: أى أن الوحى شديد ولكن هذه الصفة الصلصلة هى أشدها صورا فيترتب عليها المشقة لزيادة الدرجات. **قولــه: فيفصم على وقد وعيت ما قال**: الفصام: الإقلاع والتجلى والمفارقة. وقد وعيت أنه الوحى الذى جاء من عند الله. **قولــه: يتمثل لى الملك**: أى يتصور وفيه دليل على أن الملك يتشكل بشكل البشر، فلا يظهر إلا بحسب الرجل ويخفى الباقى عن الرائى لـه والله أعلم. **قولــه: فــيكلمنى**: أى يتحدث معى، وقيل يعلمنى. **قولــه: فأعى ما يقول**: أى عند ذهاب الملك وعودته لصورته الحقيقية. **وقول عائشة: ليتفصد عرقا**: هى المبالغة فى كثرة العرق. **وقولهــا: فى اليــوم الشــديد الــبرد**: دليل علىكثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحى، وروى البيهقى "وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فيضرب حزامها من ثقل ما يوحى إليه" لأنه أمر طارئ زائد على الطباع البشرية.

3- باب: كيف بُدء الوحى (*)

3- عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد، قبل أن ينزل إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: «**ما أنا بقارئ. قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال: اقرأ "قلت: مــا أنــا بقارئ" فأخذنى فغطنى الثانية حتى بدأ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ: فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى، فقال:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ}**» فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال: «**زملــونى زملــونى**»

(1) بتصرف لعدم ذكر ترجمة للباب وسوف تتكرر فى عدة مواضع من الكتاب إن شاء الله.

فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت علـى نفسـى**» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرءًا تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمى، فقالت لـه خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال لـه ورقة: يا أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال لـه ورقة: هذا الناموس الذى نزل الله على موسى، يا ليتنى فيها جزعا، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ : «**أو مخرجى هم؟**» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفى، وفتر الوحى [أطرافه فى: 3392، 4953، 6982].

قولها: أول مابدئ به رسول الله ﷺ من الوحى: أى من صور الوحى. **قولهـا: فيتحنـث**: أى يتبع الحنيفية، وهى دين إبراهيم ﷺ. **قولها: فيتزود لمثلها**: أى يستصحب الزاد معه إلى الغار. **قولـه ﷺ : ما أنا بقارئ**: أى للاستفهام أى ماذا أقرأ. **قولـه ﷺ فغطـنى**: أى ضمنى وعصرنى، وهو حبس النفس، وروى الطيالسى بسند صحيح: «**فأخذ بحلقى**». **قولـه ﷺ : لقد خشيت على نفسى**: أى لشدة الرعب خشى الموت أو المرض. **قولهارضى الله عنـها: لتصـل الـرحم**.. إلخ: كل هذا من مكارم الأخلاق لأن صلة الرحم هى الإحسان، والكل أى الذى لا يستقل أمره، وتكسب المعدوم أى تعين الفقير، وتقرى الضيف أى تكرمه، ونوائب الدهر هى كلمة جامعة لحسن الأخلاق والمكارم. **قولـه: هذا الناموس**: الناموس صاحب السر كما جزم به المؤلف. **قولـه: يا ليتنى فيها جـزع**: كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الإسلام شابا ليكون أمكن لنصره. **قولـه: أو مخرجى هـم**: استبعد النبى ﷺ أن يخرجوه، لأنه لم يكن فيه سبب يقتضى الإخراج، لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق. وقد استدل ابن الدغنة بمثل تلك الأوصاف على أن أبا بكر لا يخرج. **قولـه: إلا عودى**: ذكر ورقة أن العلة فى ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم، ولأنه علم من الكتب أنهم لا يجيبونه إلى ذلك وأنه يلزمه لذلك منابزتهم ومعاداتهم فتنشأ العداوة من ثم.

فائدة: فى الحديث استحباب تأنيس من نزل به أمر بذكر تيسيره عليه وتهوينه لديه.

4- باب: الوحى يظهر مرة أخرى فى السماء

4- عن جابر بن عبدالله قال - وهو يحدث عن فترة الوحى - فقال - : «**بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السـماء والأرض ، فرُعبت منه ، فرجعت فقلت: زملونى**» فأنزل الله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّـرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**}. فحمى الوحى وتتابع. [أطرافه فى: 3238، 4924، 4954، 6214].

قولـه: الوحى يظهر مرة أخرى فى السماء: ذلك بعد أن انقطع الوحى لفترة حتى يزول الروع عن النبى ﷺ وليحصل لـه التشوق إلى العود، جاءه الوحى مرة أخرى فى السماء. **قولـه: فرعبت**

منه: أى فزعت ولكن أقل من الفزع الأول، ثم زال بالتدريج. **قولــه: فحمى الوحى**: أى جاء كثيرا. **قولــه: وتتابع**: أى تكاثر وتواتر، وهى مجىء الشىء يتلو بعضه بعضا من غير تخلل.

5- باب: كان ﷺ يعالج من شدة التنزيل

5- عن ابن عباس ﷺ قال: كان ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه - فأنزل الله تعالى:{**لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِــهِ إِنَّ عَلَيْنَــا جَمْعَــهُ وَقُرْآنَــهُ**}. قال جمعه لك فى صدرك وتقرأه{**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**} قال: فاستمع له وأنصت{**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَــهُ**} ثم إن علينا أن تقرأه فكان ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبى ﷺ كما قرأه. [أطرافه فى: 4927، 4928، 5044، 7524].

قولــه: يعالج: المعالجة محاولة الشىء بمشقة. **قولــه: من شــدة التنــزيل**: أى بسبب نزول الوحى لثقل القول. **قولــه: لتعجل به**: كان يتعجل لنزول المشقة سريعاً. **قولــه: قرآنــاه**: أى أقرأه عليك جبريل.

6- باب: كان ﷺ أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل (*)

6- عن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة [أطرافه فى: 1902، 3220، 3554، 4997].

قولــه: أجود الناس: أكثر الناس جودا، والجود: الكرم، وهو من الصفات المحمودة، وعند الترمذى: «**إن الله جواد يحب الجود**». **قولــه: فيدارسه القرآن**: الحكمة أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود، والجود فى الشرع إعطاء ما ينبغى لمن ينبغى، وهو أعلم من الصدقة. **قولــه: أجود بالخير من الريح المرسلة**: المرسلة المطلقة يعنى أنه فى الإسراع بالجود أسرع من الريح المرسلة، وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة.

فائدة: فى الحديث إشارة إلى أن ابتداء نزول القرآن كان فى شهر رمضان، وكان نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة فى رمضان، وبهذا يتضح إيراد الحديث هنا.

7- باب: حديث أبى سفيان فى قصة هرقل

7- عن ابن عباس ﷺ أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا. فقال: أدنوه منى وقربوا أصحابه فجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم: إنى سائل هذا الرجل فإن كذبنى فكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبا لكذبت. ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان

من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت. لا، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه، قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم. ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك. قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.. [أطرافه فى: 2804، 2941، 2978، 4553، 5980، 6260، 7196، 7541].

قوله: فى المدة: يعنى مدة الصلح بالحديبية وكانت سنة ست وكانت مدتها عشر سنين. **قوله: وليبلغن ملكه تحت قدمى**: أى بيت المقدس. **قوله: هرقل**: هو ملك الروم ولقبه قيصر

قوله: في ركب: أي أرسل إلى أبي سفيان حال كونه في جمله الركب وذاك لأنه كان كبيرهم فلهذا خصه. **قوله: في المدة**: يعني مدة الصلح بالحديبيه: وكانت سنة ست. **قوله: ترجمانه**: أي المعبر لغة بلغة. **قوله: فجعلوهم عند ظهره**: أي لئلا يستجيبوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب. **قوله: كيف نسبه فيكم**: أي أهو من أشرافكم أم لا. **قوله: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله**: أي من قومكم يعني قريشا أو العرب. **قوله: لم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئا**: أي انتقصه به والتنقيص هنا أمر نسبي وذلك أن من يقطع بعدم غدره أرفع رتبه ممن يجوز وقوع ذلك عنه في الجملة. **قوله: بشاشة القلوب**: أي انشراح الصدور. **قوله: وكذلك الرسل لا تغدر**: لأنها لا تطلب حظ الدنيا. **قوله: أخلُص**: أي أصل. **قوله: لتجشمت**: أي تكلفت الوصول إليه. **قوله: لغسلت عن قدميه**: مبالغه في العبودية له والخدمة. **قوله: وليبلغن ما تحت قدمي**: أي بيت المقدس. **قوله:**

دحيه: صحابى جليل كان أحسن الناس وجها وأسلم قديما وبعثه النبي ﷺ عن آخر سنة ست بعد أن رجع من الحديبية بكتابه إلى هرقل... قاله الواقدي. **قوله: من محمد**: فيه أن السنة أن يبدأ الكتاب بنفسه وهو قول الجمهور. **قوله: عظيم الروم**: فيه عدول عن ذكر بالملك أو الإمرة لأنه معزول بحكم الإسلام لكنه لم يخلِهِ من إكرام لمصلحة التآلف. **قوله: سلام على من اتبع الهدى**: في رواية " السلام " وليست المراد من هذا التحية إنما معناه سلم من عذاب الله من أسلم. **قوله: بداية الإسلام**: أي بالكلمة الداعية إلى الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله. **قوله: فإن توليت**: أي أعرضت عن الإجابة إلى الدخول في الإسلام. **قوله: الأريسيين**: جمع أريسى أي الفلاح. قال أبو عبيد: المراد بالفلاحين أهل مملكته لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح. قال الخطابى: أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له. **قوله: أمِرَ أمرَ ابن أبي كبشة**: أي عظم أراد به النبي ﷺ لأن أبا كبشه أحد أجداده وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض. **قوله: ملك بنى الأصفر**: هم الروم. **قوله: ابن الناطور**: أي حارس البستان. **قوله: صاحب إيلياء**: أي أميرها. **قوله: سُقُفاً**: أي رئيس دين النصارى.

فائدة: قيل مناسبة حديث أبى سفيان فى قصة هرقل ببدء الوحى أنها تضمنت كيفية حال الناس مع النبى ﷺ فى ذلك الابتداء.

تم كتاب بدء الوحى ويليه كتاب الإيمان إن شاء الله تعالى

* * * * *